

استراتيجيات تدريس المفردات وتنمية الكفاية المعجمية

يوسف باهة
أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي
أكاديمية الرباط - سلا - القنيطرة

مقدمة

حظي مكون المعجم في مجال اللسانيات بحظ وافر من الدراسة، والتحليل؛ حيث سعى ثلة من المعجميين للتنظير له على اعتبار أن هذا المكون في دينامية وتطور، بخلاف المكون النحوي، والتركيب، والصرفي. هذا الاهتمام بمكون المعجم، أساسه الاختلاف بين الباحثين حول ماهيته، إذ ارتأى بعضهم جعله مكونا من مكونات النحو، أو بنية من النظام النحوي، نظرا للعلاقة العضوية بينهما، وهناك من اعتبره نظاما مستقلا عن غيره من أنظمة اللغة؛ لكونه يشتمل على قواعد منتظمة، ووحدات لغوية تربطها علاقات محددة.

في المقابل، لم تلق ديدكتيك المفردات المعجمية، أهمية بالغة من لدن المتخصصين في المجال التعليمي، واقتصر دورهم فقط على تقديم طرائق لشرح المفردات، بغية تسهيل فهم النصوص، وشرح القواعد النحوية؛ فنتج عن ذلك، قصور في استراتيجيات تدريس المفردات ضمن المناهج التعليمية، وتم تمييط درس المعجم في قوائم من المفردات لا تحمل أي إمكانية لجعل مكون المعجم نشاطا تحويليا؛ لأن طرائق تدريسه تُبقي المتعلم خارج كل عملية تفاعلية. وعليه، تبرز الإشكالية الطبيعية للديدكتيك التي يتوجب عليها أن تعنى بمشكلات المنهجية، والطرائق البيداغوجية، لبناء معرفة معجمية، تتجنب الحشو، والتشويش على المتعلم.

أ. إشكال الدراسة

يتمثل الإشكال الجوهري الذي تطرحه هذه الدراسة في السؤال الآتي:
كيف نمي كفاية المتعلم المعجمية وفق مقاربة ديدكتيكية؟

ب. أسئلة الدراسة

لتحديد محاور هذه الدراسة ورسم حدودها، ننطلق من إشكال الدراسة
لطرح أسئلة فرعية منها:

- (1) ما العناصر التي ينبغي التركيز عليها أثناء تعليم المفردات وتعلمها؟
- (2) كيف تسهم الوسائل التكنولوجية في تنمية الكفاية المعجمية؟
- (3) كيف يمكن تمثل معنى المفردات في ذهن المتعلم؟

ج. أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- (1) تحديد أهمية توظيف استراتيجيات معرفية لتعلم المفردات وتعليمها؟
- (2) تبيان أهمية الوسائل التكنولوجية في تنمية الكفاية المعجمية ؟
- (3) إبراز دور الخرائط الذهنية في تمثل معاني المفردات في ذهن المتعلم ؟

1. تعليم المفردات وتعلمها

طرح تعليم المفردات ضرورة الاستفادة من نتائج الأبحاث اللسانية التعليمية ومواكبتها في بلورة مقاربة ديدكتيكية، تتجاوز حشو ذهن المتعلم بلوائح من المفردات بمعزل عن السياق المقامي الذي أنتجها، وفي هذا السياق، يرى كثير من الباحثين المهتمين بمجال تعليم اللغات وتعلمها، أن طبيعة الكشف عن سيورة النقل المعرفي للمفردات من المظاهر اللغوية التي ينبغي مقاربتها من زوايا متعددة؛ لأن استيعاب المفردة يفرض إدراك خصائصها،

الخطية، والصوتية، والتركييبية، ومعرفة سياقها التداولي والسوسiolساني، وصولاً إلى بناء معرفة معجمية.

ارتباطاً بموضوع الدراسة، فإن متعلمي اللغة العربية في حاجة إلى برامج تعليمية لغوية، تخص تدريسية المفردات، وتصاغ بمقاييس عالية، وفق مقاربات تعليمية ديدكتيكية، تنمي لديهم كفايتهم المعجمية، وتؤهلهم لمواصلة تعلم اللغة العربية بشكل سليم. وفي هذا الصدد يقول (Vermeer, 2001): "معرفة المفردات هي مفتاح للفهم والإفهام، والجزء الأكبر من تعلم لغة معينة مرتبط بتعلم مفرداتها"¹.

وبموجب هذا التصور، فإن المتعلم عندما لا يتمكن من التعبير شفها أو كتابيا نتيجة ضعف مخزونه المعجمي أو عدم القدرة على توظيف المفردات إنتاجاً وفهماً استقبالياً، قد يلجأ إلى توظيف بعض الكلمات في غير سياقها المناسب، أو يستعين باللهجة العامية، مما يضعف قدرته التواصلية وكفايته المعجمية، وعليه ينبغي تزويد المتعلم باستراتيجيات فاعلة مبنية على هندسة تعليمية وظيفية، لتبسيط تعلم المفردات، داخل قسم اللغة العربية.

إن استخدام المتعلم طريقة ما للتعلم، دليل على أنه تعلم كيف يتعلم؟ وهذا ما تسعى إلى تحقيقه استراتيجيات التعلم "الاستراتيجية متوالية مندمجة من الإجراءات المنتقة لبلوغ هدف معين من أجل استثمار أمثل للكفاءة"². وفي هذا السياق، فإن تنمية الكفاية المعجمية لا تقتصر فقط على تزويد المتعلم بالمفردات ثم استعمالها في موقف تواصل، بل ينبغي التركيز على استراتيجيات تعلمها؛ لأن المواقف التواصلية تختلف حسب السياق، وهذا ما أكده بعض الباحثين أمثال ناسيون Nation³ ينبغي للمدرسين تدريب المتعلمين على استراتيجيات تساعد على فهم الكلمات وتذكرها³.

1 - Vermeer. A 2001. P. 219

2 - زغبوش، بنعيسى. 2008. ص. 61.

3 - Nation. 2001. P. 28

إن توظيف استراتيجيات معرفية وميتا معرفية أثناء تدريس المفردات، سيسهم في تنمية كفاية المتعلم المعجمية. ونعني بالمعجم هنا المعرفة المعجمية التي يمتلكها متكلم اللغة العربية حول ألفاظ لغته، كيف يفهمها ويضعها في تراكيبها وسياقاتها المناسبة، ويبدع بها ألفاظا جديدة، ويوسع من معانيها. فالمعجم هو مكون من مكونات اللغة، تحمل وحداته معلومات تتعلق بما هو صوتي، صرفي، دلالي، تركيبى. وإذا كان الهدف من تعليم اللغة تمكين المتعلم من التعبير بلغة سليمة ومقبولة، فالوسيلة الأنجع هي تطوير كفايته اللغوية مع مراعاة مستوى المتعلمين وحاجاتهم الوظيفية والذهنية والعاطفية والمعرفية.

2. الوسائل التكنولوجية وتعليم المفردات

تروم الديدكتيك الاستفادة من الوسائل التعليمية جميعها لتحقيق الجودة في العملية التعليمية التعلمية، وبما أننا في عصر التكنولوجيا فقد أصبح من الضروري استعمال وسائل تعليمية حديثة، تساعد المدرس في النقل الديدكتيكي للمعارف، وهذا ما تم التأكيد عليه في المذكرة التربوية: "تحسين وملاءمة التقنيات البيداغوجية وطرائق التدريس، وتوفير الوسائل والوسائط الديدكتيكية (السمعية-البصرية-الرقمية) المساعدة على تدريس وتعلم اللغات"⁴.

تكتسي الوسائل التعليمية أهمية في منظومة التربية والتكوين، لما تقدمه من إمكانيات لتنمية الكفايات اللغوية والتواصلية، وتحسين جودة العملية التعليمية التعلمية. وتماشيا مع السياق نفسه، نص الميثاق الوطني للتربية والتكوين في الدعامة العاشرة من المجال الثالث المتعلق بالرفع من جودة التربية والتكوين على أنه: "سعيًا لتحقيق التوظيف الأمثل للموارد التربوية، ولجلب أكبر فائدة ممكنة من التكنولوجيا الحديثة، يتم الاعتماد على التكنولوجيات الجديدة"⁵.

4 - المذكرة التربوية، ع، 132، ص. 2

5 - الميثاق الوطني للتربية والتكوين، الدعامة 10، المواد: 119-120-121

قبل الحديث عن أهمية الوسائل التعليمية التكنولوجية، ودورها في تنمية الكفاية المعجمية، ارتأينا أن نقدم تعريفاً لمفهوم تكنولوجيا التعلم من أجل تحديد المصطلح.

ورد مفهوم تكنولوجيا التعليم في معجم علوم التربية على أنه "مجموع الموارد السمعية البصرية المستعملة في التعليم مثل الصور والأفلام وأدوات التسجيل والراديو والتلفزة، كما أنها تشير كذلك إلى منهجية التعليم مثل التعليم المبرمج"⁶.

إن الصعوبات التي يعاني منها بعض المتعلمين أثناء عملية التعلم لا تقتصر على ضعفهم المعرفي أو الذهني، بقدر ما تتعلق بالطرائق والوسائل التعليمية التقليدية التي يستعملها المدرسون لإيصال المعلومات، لذلك ينبغي للمدرس تنويع الوسائل التعليمية لتنسجم مع مختلف أنماط التعلم.

ترتبط مختلف استعمالات الوسائل التعليمية الحديثة في العملية التعليمية التعليمية بمجموعة من المهام الديدكتيكية التي تسعى إلى تيسير إدراك المعارف وتبسيطها، كما تهدف إلى:

- تنمية الكفاية التواصلية على مستوى استقبال المفردات وإنتاجها؛
- مساعدة المتعلم على توظيف جميع حواسه مما يساهم في ترسيخ المعلومات؛
- توفير بيئة تفاعلية للتعرف على الأشياء المجردة؛
- مشاركة المتعلم في سيورة بناء الدرس.
- لا يتضمن تصميم الوسائل التعليمية الحديثة تقديم المعارف فقط، بل يتعدى ذلك إلى عرضها بطريقة تشجع المتعلمين على التفاعل لاستيعاب المعلومات وإدراكها، ولتحقيق هذا الهدف ينبغي الإجابة على الأسئلة التالية:

ماذا ؟ : الكفايات المراد تنميتها من النشاط التعليمي؛

لمن ؟ : وصف الفئة المستهدفة: سنها، مستواها المعرفي، والمهاري، والوجداني؛

- كيف ؟ : تحديد الطرائق والاستراتيجيات المعرفية، والوسائل التي ستسهم في تحقيق الكفاية.

إجمالاً، إن تنمية الكفاية المعجمية، تتطلب توظيف واستثمار عدة وسائل تعليمية : صوتية بصرية سمعية؛ لأن طبيعة معالجة المعلومات في الذاكرة وترميزها تختلف باختلاف الحواس المستقبلية للمثيرات كما أشار إلى ذلك كل من Shiffrin' Atkonson.

يحتوي نظام معالجة المعلومات لدى الإنسان على قناة مزدوجة للمعالجة:

القناة السمعية اللفظية:

----الأذنان---- الكلمات المسموعة

القناة البصرية التصورية:

-----العينان----- الصور

إن لكل قناة قدرة محدودة على معالجة المفردات، وترميزها "علماً بأننا نحفظ ب 20% مما نسمعه و50% مما نراه ونسمعه، لذلك من مصلحة المكون أن يوظف القناة البصرية إلى جانب القناة السمعية، وأن يلجأ إلى المساند البيداغوجي من أجل تحسين الشرح والاستشهاد والتوضيح".⁷

لذلك ينبغي استخدام الوسائل التكنولوجية أثناء عملية التعلم من أجل تمثل المفردات المجردة ذهنياً، فالوسائل السمعية لها أهمية في كيفية نطق المفردات، والوسائل البصرية مثل الحاسوب، التلفاز، السبورة التفاعلية، تمكننا من فهم

وتمثل دلالة المفردات المجردة، إما لأنها لا توجد في بيئته، أو أنه لم يتمكن من فهمها لفظيا.

إن توظيف الوسائل التكنولوجية داخل الفصل الدراسي سيساعد المدرس على القيام بعملية المواءمة من أجل تعديل الخطاطات الذهنية للمتعلم لكي تتكيف مع المفردات الجديدة، كما سيمكنه من خلق بيئة تفاعلية ستسهم في تنمية منطقة النمو قريبة المدى التي أشار إليها فيجوتسكي؛ لأن نمو هذه المنطقة يختلف من فرد لفرد تبعا لمنطقته الحالية والمتوقعة، لذلك ينبغي توظيف الوسائل التكنولوجية في العملية التعليمية التعلمية مراعاة للفوارق الفردية بين المتعلمين.

عظفا على ما سبق ذكره، تشكل الوسائل التعليمية، مدخلا حقيقيا لإدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصال في ميدان التعليم، فهي تساعد المتعلم على تمثل واستيعاب المفردات، وتغني بيئة التعلم، فتيسر سبل إدراك المعارف، وتجعل العملية التعليمية التعلمية أكثر تشويقا، باستخدامها الصوت والصورة والألوان، وكلها عناصر تحفز المتعلمين، وتثير انتباههم لموضوع التعلم، وتساعد المدرس على بناء وضعية تعليمية، تراعي الفروق الفردية بين المتعلمين.

فهم المفردات استقبالا وإنتاجا بشكل شفوي وكتابي فعال، يتطلب الاستعانة بمدخلات سمعية وبصرية تفاعلية، إذ تسمح للمتعلم بإنشاء روابط بين المفردات لبناء المعنى وتفكيكه، وإدماج المعلومات في شبكة المعارف الموجودة في الذهن، بمعنى "ربط المعلومات الجديدة بالمفاهيم أو المعلومات الموجودة سلفا في الذاكرة، أو ربط جزء من معلومة ما بجزئها الآخر قصد خلق روابط في الذاكرة".⁸ وتتابع الصور الذهنية، ومعاني المفردات ودلالاتها وارتباطاتها، يتم بناء خريطة ذهنية توفر نموذجا يعرفه المتعلم سابقا، فيطلب منه بناء نماذج تدعم سيرورة اكتساب المفردات وتعلمها. وفي تفعيل هذه الاستراتيجية تجاوز استراتيجية الحفظ التي قد تبدو ناجعة على مستوى المدى القريب، لكنها طريقة غير عملية لتستوعب عددا كبيرا من المفردات.

3. استراتيجية الخرائط الذهنية وتعليم المفردات

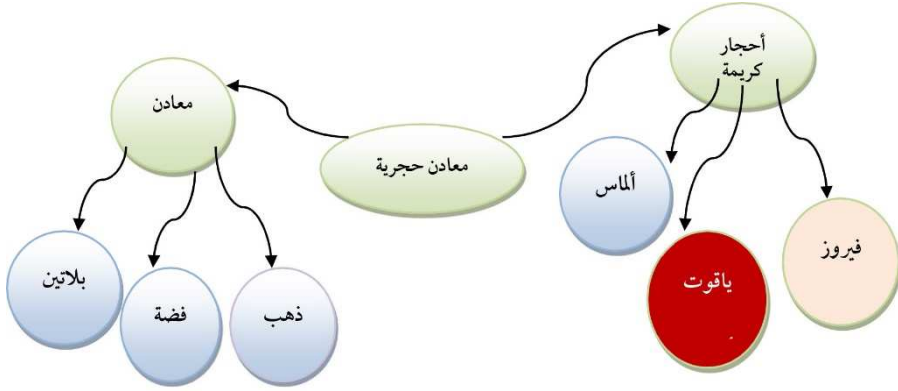
تقتضي استراتيجية الخرائط الذهنية تنظيم فعل التعلم، لتأمين المعلومة، وتعلم ما هو أساسي، وذلك بتنمية سيرورة التحليل والتركيب. وبفضل هذا العمل الذهني يتعلم المتعلم كيف ينظم المفردات التي يكتسبها، وفي هذا السياق، فإن المدرس مطالب بتيسير تنظيم المعلومات الجديدة، لتسهيل عملية إدماجها، وتحويلها إلى الذاكرة بعيدة المدى، وبدون هذا النسق من التشفير، فإن المفردات المتحصل عليها تستحيل مواءمتها مع المعارف السابقة. وتبعاً لهذا التصور، فإن "معرفة الفرد لكلمات معينة تمكنه من استثارة الكلمات والأفكار المتصلة بها-خطاطته اللغوية- وتعمل هذه العملية على إثارة وإغناء معجمه الذهني".⁹

ولتفعيل هذه الاستراتيجية، ينبغي تحليل حاجيات المتعلم؛ لتحديد موضوع التعلم. وهذا يعني أن اكتساب المفردات يتم بطريقة صريحة، وتماشياً مع هذا التصور، يحتاج المدرس عند البدء بتطبيق الاستراتيجية الذهنية، "إلى ربط المعلومات المقروءة في الكتب والمذكرات بواسطة رسومات وكلمات على شكل خريطة، تحول الفكرة المقروءة إلى خريطة تحوي أشكالاً مختصرة ممزوجة بالألوان والأشكال في ورقة واحدة حيث تعطي المتعلم مساحة واسعة من التفكير، وتمنحه فرصة مراجعة معلوماته السابقة عن الموضوع، وترسيخ البيانات والمعلومات الجديدة في مناطق المعرفة الذهنية".¹⁰

9 - عصر، عبد الباري. 1999. ص. 10.

10 - هلال، محمد عبد الغني. 2007.

شكل (1) خريطة ذهنية لتمثل المعنى في ذهن المتعلم.



يتضح لنا من قراءتنا البصرية للشكل (1) أن المعلومات التي سيتعرف عليها المتعلم، ستقدم له بطريقة منظمة، اعتماداً على مبدأ التصنيف والتجميع، حيث تم تحديد خصائص مشتركة بين المعادن الحجرية. وهكذا رتبت هذه المعادن إلى أحجار كريمة، ومعادن نادرة. وفي هذا الإطار، ينبغي على المدرس الانطلاق من عقدة مركزية، واستخدام تقنية العصف الذهني لتجميع المفردات والعقد المنشقة عنها، وذلك بهدف تقوية الذاكرة، مما يضمن للمتعلم حسن تدبير معارفه، وتنمية معجمه الذهني.

غالباً ما يتم التركيز أثناء تعليم المفردات على الأسماء، حتى أن القاموس المدرسي، يهتم بشرح الأسماء والصفات، أكثر من الأفعال. هذا البعد قد لا يقوي الروابط بين مختلف مكونات اللغة، في هذا السياق يمكن أن نتساءل: كيف نمثل لمعنى الفعل؟

إن تفعيل الخريطة الذهنية أثناء تعليم المفردات للمتعلمين، من شأنه أن ينمي كفاياتهم المعجمية. فمثلاً سنطلب من المتعلم استخراج أفعال الإدراك البصري والمعنوي مستعينا بمنظومة عبارة عن حقول دلالية؛ أي الاشتغال وفق موضوعات محورية، وسيعمل المدرس على تحديد الفروق الدلالية بين فعلين ينتميان إلى حقل دلالي، ومثال ذلك:

راقب	رمق
- فعل إدراكي - إدراك موجه في اتجاه المفعول - لاحظ المفعول ورصده	- فعل غير إرادي - نظر إليه وأتبعه بصره - أدام النظر

إجمالاً، إن استراتيجية الخطاطة الذهنية هندسة معرفية، تهدف إلى نمذجة السمات اللسانية للمفردات على المستوى الذهني من أجل إعداد قاعدة بيانات يستخدمها المتعلم لمعالجة المفردات الجديدة بغية تحقيق مبدأ الاقتصاد الذهني؛ لأن دماغ الفرد عندما يستقبل معلومات جديدة، يعمل على ربطها بمعلومات مكتسبة قبلاً، ولذلك فلا يحتاج المتعلم إلى أن يقف عند كل مفردة يبحث عن معناها؛ بل قد يعتمد على معجمه الذهني، ووفق هذا التصور السيكلوجي، تظهر أهمية الخرائط الذهنية في تنظيم المعلومة وتصنيفها وتحديد الخصائص المشتركة بين مفردتين أو أكثر حتى يتيسر التمييز الإدراكي.

خاتمة:

تمثل الوعي بأهمية المفردات كنواة مركزية لتعلم اللغة وتعليمها، يفرض علينا تجويد استراتيجيات نقلها معرفياً للمتعلمين، لبناء معرفة معجمية داخل قسم اللغة العربية، وتحقيقاً لهذا البعد الذي يتجلى في تدريس المفردات بطريقة ناجحة وناجعة، فإن المنهجية التي نتصورها لتفعيل هذا المقترح، تقوم على مبدأ تفعيل موارد رقمية لتشكيل بيئة تعليمية جذابة، تيسر التعلم، وتجعل المتعلم يتمثل المفردات عبر مداخل متعددة، وفي هذا الإطار، فإن "تنمية الكفاية المعجمية لا تقتصر فقط على تعلم المفردات ومعرفة خصائصها وسماتها المميزة، وإنما القدرة على استعمالها حسب المقام التواصل استقبالياً وإنتاجاً مع توظيف طرائق ديدكتيكية تركز على تنشيط المهارات اللغوية شفهاً وكتابياً"، هذا البعد يتطلب صياغة استراتيجيات معرفية، وميتا معرفية؛ لأنها تشكل مسافة واعية بين التعليمات، وستسهم في تحسين فهم المفردات وإنتاجها بشكل سليم.

المراجع:

- زغبوش، بنعيسى: (2008). الذاكرة واللغة، مقارنة علم النفس المعرفي للذاكرة المعجمية وامتداداتها التربوية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد الأردن.
- شعبان، ماهر: (2011) تعليم المفردات اللغوية، دار المسيرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
- عصر، عبد الباري: (1999). الفهم عن القراءة: طبيعة عملياته وتذليل مصاعبه. مركز الاسكندرية للكتاب، مصر.
- غريب، عبد الكريم، وآخرون: (1998). معجم علوم التربية، سلسلة علوم التربية 9-10، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- الهاروشي، عبد الرحيم: (2004). بيداغوجيا الكفايات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- هلال، محمد عبد الغني: (2007). مهارات التعلم السريع القراءة السريعة والخريطة الذهنية، مركز تطوير الأداء والتنمية، القاهرة.

المجلات

- باهة، يوسف: تنمية الكفاية المعجمية لمتعلم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، دكتوريات التدريس، 2018، ع2، منشورات مجلة التدريس، مطبعة الرباط نت، الرباط.
- حسيني، فاطمة: تعلمية اللغة العربية: من الكفاية المعجمية إلى الكفاية التواصلية، 2016، مجلة اللسان العربي ع77، منشورات مكتب تنسيق التعريب بالرباط التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو).

- Nation, I.S.P:(2001). **Learning Vocabulary in Another language**, Cambridge applied linguistics, university press.
- Oxford, L :(1990). **Language Learning Strategies**. Boston : Heinle and Heilene.
- Vermmer, A:(2001). **Breadth and depth of vocabulary in relation to L-1/L-2 acquisition and frequency of input**. Applied psycholinguistics.